المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار الواحد والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 يوليو 2021م

علم المناسبة، نشأته، وأهم أعلامه

The Study of Al-Munasabah، Its Development and Its Most Distinguished Scholars

إعداد الباحثة/ أمونة بنت جابو عبده جدة

باحثة الدكتوراه، تخصص الدراسات الإسلامية (التفسير وعلوم القرآن) جامعة الجزيرة، السودان

Email: samaa1222@gmail.com

الملخص

تهدف هذه الدِّراسة إلى الكشف عن معنى المناسبات وأهميتها، وكذلك دراسة نشأتها وظهورها وتأصيلها؛ بتسليط الضوء على عناية العلماء قديمًا وحديثاً بها، واثبات وجودها في كتبهم تأصيلاً وتطبيقًا وتقعيدًا، وأنَّ قولهم فيها لم يكن بمحض رأيٍ لا مستند معه، بل كان مبنيًا على تأصيلٍ منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أهم الأعلام الذين عنوا بعلم المناسبات ومؤلفاتهم التي اعتنت به، وساهمت في إرساء قواعده، كما ساهمت في بيان حكم تطلب المناسبة بين الآيات والسور. واتَّبعتُ في هذا البحث المنهج التحليلي الاستقرائي، وجاء البحثُ في مقدِّمةٍ، وثلاثة فصول، وخاتمةٍ، وفهارس. وقد أكدت الدِّراسة على حاجة المفسر لعلم المناسبة، وأنَّه لا مستند صحيح لقول القائلين بمنع تطلبها بين الآيات والسور، وأنَّ كتب التفسير مليئة بتطبيقات علم المناسبة وهي من الجوانب المهمة التي اهتمَّ بها المفسرون. وتوصلت الدراسة إلى عدد من **النتائج** من أهمها: أنَّ الناظر في براعة القرآن وأسلوبه وترتيبه ونظمه يجده كسبيكة واحدة، مما يُرجح بأنَّ ترتيبه توقيفي، فيتعين حينها أنَّ وراء هذا الترتيب الإلهي سرًّا ينبغي البحث عنه؛ لأنَّه مُعينٌ على فهم مُراد الله تعالى من إنزاله، كما أنَّه لا مستند صحيح للقائلين بمنع المناسبة، وهو علمٌ مثبت موجود، له فوائد كثيرة. **وتوصي الدِّراسة**: بمزيد من البحث العلمي حول شروط اثبات علم المناسبة للقائلين بوجودها، وكذلك افراد تواليف خاصة لتطبيقات علم المناسبة من كتب التفسير التي عنيت بالمناسبة بالدراسة والبحث، وكذلك افراد دراسات تربط بين المناسبة وعلم السياق أو أسباب النزول، أو تكون مبحث من مباحث التفسير الموضوعي مثلاً أثر المناسبات في الدعوة إلى الله من خلال قصة موسى.

كلمات مفتاحية: المناسبة، نشأة المناسبة، مناسبات الآيات، أعلام المناسبة، تأصيل المناسبة.

IJRSP
المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثاني - الإصدار الواحد والعشرون
تأريخ الإصدار: 20 يوليو 2021م

Its Development and Its Most Distinguished ،The Study of Al-Munasabah Scholars

Abstract

The purpose of this research is to explore the meaning of *Al-Munasabah*، its significance، development، emergence and establishment، via shading the light on the scholarly interest in it in the past and the present; proving of its existence in their literature in terms of etymology، applications and principles; proving that their discourse on it was a not a mere opinion of no evidence–rather it was based on a well-established foundation since the era of the Prophet Muhammed PBUH. The study also describes the most distinguished scholars who were interested in the Study of *Al-Munasabat*، their publications that concentrated on it، and contributed to the set-up of its foundations as well as in the explanation of the decree of seeking the relation between Quranic verses and Surah. In this research، I followed the inductive analytical methodology. The research comprised of an introduction، three chapters، a conclusion and indexes. The study confirmed the need of the interpreter to know Study of Al-Munasabah، and that there is no valid documentation for the statement of those who claim that it is forbidden to seek relations between the verses and the Surahs. It also confirmed that the books of Tafsir are full of the applications of the Study of Al-Munasabah as it is one of the important aspects that the Mufassirūn were interested in. The study reached a **number of results**، the most important of which are that the beholder of the ingenuity، style، arrangement and organization of the Qur'an finds it as if it is a single alloy، which makes it likely that its arrangement is tawqeefi which indicate that there is a secret behind this divine arrangement that must be searched; it helps to understand the meaning of revelation of Allah the Almighty; and there is no valid documentation for those who say that Al-Munasabah is forbidden–it is a proven science that exists، which has many benefits.

The study recommends that further scientific research on the conditions of proving Al-Munasabah for those who claim its existence، as well as allotting special syntheses of study and research for Al-Munasabah applications from the books of Tafsir that were concerned with Al-Munasabah. Also، allotting studies that would link the Al-Munasabah with the study of the context or the reasons for the revelation، or it can be one of the topics of the thematic interpretation، for example، the impact of Al-Munasabah on the Da'wah through the story of Moses PBUH.

Keywords: Al-Munasabah، the origin of of Al-Munasabah، relations of the verses، the most distinguished scholars of Al-Munasabah، the etymology of Al-Munasabah

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعين ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ القرآن الكريم قد حاز قصب السبق في بلاغة النظم والتركيب، وفصاحة الألفاظ، وجزالة المعاني، ووصل لتمام الاتقان والوفاء، مما يعين على التدبر والتفكر للاهتداء به.

فإنَّ علم المناسبات علم ترابط الآيات والسور وتناسبها لهو من المباحث الهامة في علوم القرآن؛ لتعلقه بتفسير كتاب الله تعالى، وإنَّ العلوم ليعلوا شأنها، ويسمو قدرها، كلما كانت من كتاب الله أقرب، وبالصلة به أعلق، فشرفُ العلم من شرف المعلوم.

وإنَّ من المسائل المهمة في البحث العلمي لأيِّ علمٍ من العلوم، مسألة البحث في تاريخ العلوم ونشأتها؛ ممَّا يزيل الغموض الذي يحيط بتاريخ نشأتها، وهو كذلك مُعينٌ على تصورها، والحكم عليها قبولاً أو ردًّا، فهو كالتأصيل والتقعيد لها.

والناظر في أغلبِ العلوم الإسلامية يجد أنَّ جذورها بدأت من عصر الرسول ثمَّ تطورت شيئاً فشيئاً حتى اكتملت وانفردت في مؤلفات خاصة.

وعلم المناسبات -علم ترابط الآيات -من العلوم التي تأخر التصنيف فيها مقارنة بغيرها، لكنَّ مسائلها ومباحثها كانت منثورة في كتب المفسرين من بداية التأليف في هذا العلم.

ولذا رغبتُ في الكتابة في هذا الموضوع، من خلال هذا البحث المختصر الموسوم بـ(نشأة علم المناسبة وأهم أعلامها) حيث لم أطلع حسب علمي على من كتب فيه استقلالاً، واتبعتُ في بحثي المنهج : التحليلي الاستنباطي حيث قمت بتتبع هذا العلم في كلام أهل التفسير، واستنباط واستخراج موضع المناسبة.

مشكلة البحث:

وجود عدد ممن رفض علم المناسبة وترَّب على من قال به، وتكلَّم على من تكلَّم به بالثلب والانقاص، مما نتج عن ذلك القول بمنع القول بالمناسبة في كتاب الله سواء بين الآيات أو السور، فنظمتُ هذا البحث لترجيح جواز طلب المناسبة، بتأصيل نشأتها ووجودها في تواليف أهل العلم.

أهداف البحث:

1- بيان المراد بعلم المناسبات، وفوائده.
2- تتبع نشأة علم المناسبات والكشف عنه في تاريخه الطويل، من بدايته إلى عصرنا الحاضر.
3- التأصيل لمسألة اثبات وجود المناسبة والتناسب.

أهمية الموضوع:

1- بيان علاقة علم المناسبات في فهم المراد من كلام الله وتلمس بعض أحكامه وحكمه.
2- اثبات أنَّ من ردَّ علم المناسبة لا مستند له صحيح يعتد عليه.
3- بناء قواعد هذا العلم بالرجوع لتفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وتفاسير الصحابة.
4- تحرير القول في تباين وجهات نظر أهل العلم في هذه المسـألة ما بين مانع له وبين مجرٍ له بضوابطه.

خطة البحث:

قسمتُ البحث إلى مقدِّمة وثلاثة فصول، ووجاء على النحو الآتي:

المقدِّمة: وفيها مشكلة البحث، وأهدافه، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

الفصل الأول: تعريف علم المناسبات وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات في اللغة.

المبحث الثاني: تعريف علم المناسبات في الاصطلاح.

المبحث الثالث: أهميته وثمرته.

الفصل الثاني: نشأة علم المناسبات، وتحته ثلاث مباحث:

المبحث الأول: علم المناسبات في تفسير النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: علم المناسبات في تفسير الصحابة والتابعين.

المبحث الثالث: مراحل علم المناسبة حتى العصر الحالي.

الفصل الثالث: التصنيف في علم المناسبات، وتحته ثلاث مباحث:

المبحث الأول: من أفرده بالتصنيف

المبحث الثاني: الذين جعلوه نوعاً من علوم القرآن الكريم وتحدثوا عنه في باب من كتبهم.

المبحث الثالث: المفسرون الذين عُنُوا بذكر المناسبات في تفاسيرهم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

ثمَّ **الفهارس** العامة: لتكون كالمفتاح للبحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل الأول: تعريف علم المناسبات

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات في اللغة.

المناسبة لغة:

مادة (ن س ب): النسبة والنسبة والنسب القرابة وقيل هو في الآباء خاصة، والنيسب والنيسبان الطريق المستقيم الواضح[1]، (ناسب) فلانا شركه في نسبه وشاكله يقال بينهما مناسبة ويقال ناسب الأمر أو الشيء فلانا لاءمه ووافق مزاجه[2]

جاء في اللسان: ((ناسبهُ: شرَكهُ في نَسَبِهِ. والنسيبُ: المُناسبُ، والجمعُ نسباء وأنسباء؛ وفلان يناسب فلانًا، فهو نسيبه أي قَرِيبُه، وتقول: ليس بينهما مُناسبة: أي مشاكلة النسيب رقيق الشعر في النساء، والنيسب والنيسبان: الطريق المستقيم الواضح؛ وقيل: هو الطريق المستدق، كطريق النمل والحية، وطريق حمر الوحش إلى مواردها))[3].

ومن الملاحظ أنَّ مادة (ن-س-ب) المعجمية واستعمالاتها تدل على معنى دلالي واحدٍ: وهو الاتصال، والقُرب، والترابط، والتجانس، والتناسق، والتلاؤم، والتشاكل، ومنه النسب في الإنسان اتصال وتواصل، والشعر في النساء نسيبًا لاتصاله بهنَّ، كذلك الطريق الواضح هو نسيبٌ لاتصاله وعدم انقطاعه واعوجاجه وانحنائه.

ومن المعلوم أنَّ الجذر اللغوي في الكلمة هو أصل للمعنى الاصطلاحي ومؤثرٌ فيه، ودالٌ عليه، لذلك بعض العلماء يطلق عليها النظام، أو الارتباط، ويقصدون ما دلَّ عليه جذر الكلمة لغة.

فالمناسبة والرِّباط والتناسق والمشاكلة والترابط والنظام كلَّها بمعنى واحد.

---

(1) ابن سيدة، المحكم والمحيط (8/ 529).

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (2/ 916).

(3) ابن منظور، لسان العرب (فصل النون/1/ 756).

المبحث الثاني: تعريف علم المناسبات في الاصطلاح

علم المناسبة اصطلاحًا: ذكر العلماء عدَّة تعريفات لعلم المناسبة، وفي الحقيقة كلها تتقابل وتتكامل ولا تتخالف فمنها ما ذكره البقاعي[4] فقال: ((هي علم تعرف منه علل الترتيب، وهو سرُّ البلاغة))[5].

ومعنى علل الترتيب أي العلاقة والسبب في ورود الآية بعد الآية، وفي ورود الكلمة في الآية، وفي ورود المقطع بعد المقطع، وفي ورود السورة بعد السورة.

وقال السيوطي[6] في تعريفها: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني))[7].

وعرِّفت في كتاب مباحث في التفسير الموضوعي بأنَّها: ((الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها))[8].

ونقَلَ الزركشي[9] تعريف القاضي أبو بكر بن العربي للمناسبة فقال: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني))[10].

والتعاريف السابقة كلُّها متقاربة؛ حيث أنها تُشيرُ إلى معنى واحد وهو: ارتباط القرآن بعضهُ ببعض، سوره وآياته بروابط، معللة في ترتيبها وتلاحمها وهذه العلل هي المناسبة.

---

(4) برهان الدين، الشيخ إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط–بضم الراءِ وتخفيفِ الباء –ابن علي بن أبي بكر الخرباوي البقاعي، الشافعي، وُلد الإمامُ البقاعي سنة 809 هـ تسع وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام في البقاع بلبنان، من كتبه: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الصور، ونظم الدرر في تناسب الآي السور، توفي سنة (885 هـ) ودفن بالتربة الحمرية جهة قبر عاتكة

انظر: الساعاتي، إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري (1/ 71).

(5) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (1/ 5).

(6) عبد الرَّحْمَن بن الْكَمَال أبي بكر بن مُحَمَّد بن سَابق الدّين أبي بكر بن الْفَخر الشَّيْخ همام الدّين همام الخضيري السيوطي، 0الشافعي المسند المحقّق المدقّق، ولد فِي سنة تسع وَأَرْبَعين وَثَمَانمِائَة، وله مصنفات عديدة منها: الإتقان فِي عُلُوم الْقُرْآن والدر المنثور فِي التَّفْسِير الْمَأْثُور وَتُوفِّي فِي سنة إِحْدَى عشرَة وَتِسْعمِائَة.

انظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين (1/ 366).

(7) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (3/ 369).

(8) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (ص: 58).

(9) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. ولد سنة (745هـ)، وألف تصانيف كثيرةٍ في عدَّةِ فنونٍ، منها: الخادم على الرافعي، والروضة، وشرح المنهاج، والديباج، وشرح البخاري، توفي سنة (794هـ).

انظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/ 437).

(10) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (1/ 36).

ويعرفه أيضًا الدكتور محمد بازمول[11] فيقول: ((هو معرفة مجموع الأصول الكلية، والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض))[12].

ويعني بالأصول: القواعد الكلية العامة التي يرجع إليها هذا العلم، كقولهم: الأصل أنَّ طلب المناسبة توقيفي، وقولهم: الأصل أنَّ مقاصد القرآن ثلاثة: التوحيد، والأحكام، وقصص السابقين، وقولهم: الأصل في ترتيب السور أنه توقيفي. وغيرها من الأصول، ويقصد بالمسائل: الأمور الجزئية المتعلقة ببيان الرابط في موضع ما[13].

ومن التعريفات الاصطلاحية السابقة نستنتج الآتي:

- أنَّ القرآن الكريم وحدة واحدة، مرتبط الآي، والسور، فينبغي أن يتعامل مع القرآن كوحدة واحدة، متسق النظام، وليس مفكك الأجزاء.
- هناك توافق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمناسبة، وهو ما يعني أنَّ الآية وجارتها، والسورة وجارتها شقيقتان متصلتان كما يربط النسب بين المتناسبين، فنهاك رابط يربط أو يقارب بينهما في حال كانتا –ظاهرًا-متباعدتين معنىً.
- لا تتم المناسبة حتى يوجد أمر يربط بين الشيئين ويُناسب بينهما، وهو أمرٌ معقول إن عُرض على العقول السليمة تلقته بالقبول.
- أنَّ علم المناسبة له أصولٌ كليَّة، وقواعد ومسائل متعلقة به، لا ينفكُّ طالب هذا العلم عن معرفتها.
- أنَّ تعاريف علم المناسبة تضمنت الإشارة لبعض أنواع المناسبات وهي المناسبات الداخلية ومنها: مناسبة ترتيب آيات القرآن في السورة الواحدة، وكذلك المناسبات الخارجية ومنها: ومناسبة ترتيب السور ومناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

أنَّ علل الترتيب: هي المعاني المعقولة أو الروابط التي تصلح لأن تكون رابطًا بين الآية والآية، والسورة والسورة.

المبحث الثالث: أهميته وثمرته.

أبان العلماء فيما سطروه بجلاءٍ عن أهمية هذ العلم وعظيم الفائدة بمعرفته، فمن أهميته وفوائده:

1-ترسيخ العلم في القلب وزيادته، ومعرفة مناسبة الآيات ونظام القرآن المقصود منه حسنُ الفهم والذي يقود إلى التدبر الذي جُعل وسيلة إلى الهدى والتقوى. يقول البقاعي مبيناً هذه الفائدة ((وبهذا العلم: يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين:

---

(11) محمد بن عمر بن سالم بازمول ولد بمكة المكرمة. في السعودية، حصل على دكتوراه في الكتاب والسنة (القرآن وعلومه، والحديث وعلومه) سنة 1414هـ من جامعة أم القرى. له من المؤلفات ما يزيد على الثلاثين مؤلفاً في القرآن والحديث وعلومها، يعمل حاليا كعضو بهيئة تدريس بجامعة أم القرى. المرجع: موقع الدكتور الرسمي: https://uqu.edu.sa/mobazmool/10551

(12) بازمول، علم المناسبات في السور والآيات (ص/27).

(13) انظر: بازمول، علم المناسبات؛ المرجع نفسه (ص/28،27).

إحداهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

والثانية: نظمها مع تاليتها بالنظر إلى الترتيب.

والأول أقرب تناولاً، وأسهل ذوقاً؛ فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمُّل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد، فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما حصل له بالسماع من الهزّ والبسط، ربما شككه ذلك وزلزل إيمانه؛ فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز والوقوف بأنه في الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى، فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، رقص الفكر منه طرباً، وشاط لعظمة ذلك جنانه، ورسخ من غير مرية إيمانه))[14].

2-معرفة عظم كتاب الله عزَّ وجل، الذي هو سبيل تعظيمه وتوقيره في القلوب، يقول السيوطي: ((واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول))[15]، فبمعرفة المناسبة يزداد تعظيم القارئ لربه عزَّ وجل.

3- إنَّ المناسبة أمر لا غنى عنه لمفسر القرآن الكريم، والناظر فيه، جاء في حلية الأولياء: ((قال مسلم بن يسار: إذا حدثت عن الله، فأمسك فاعلم ما قبله وما بعده))[16].

4-البحث في علم المناسبات يُدرب العقل وينميه، ويُكسبه قوة علمية، وملكة في التدبر.

5-أنَّ فهم المناسبة مُعينٌ على فهم معنى الآيات، ومعرفة مراد الله عزَّ وجل منها.

6-يفيد هذا العلم في معرفة سر التكرار وبخاصة القصص، وكذلك تكرار الكلمات، والآيات.

7-ومن فائدته: جعل الكلامٌ يأخذ بعضه بأعناقٍ بعض، فيكون كلامًا جيِّدًا متماسكًا حسن الالتحام مؤثرًا في السامع له.

8-بمعرفة هذا العلم تنكشف من أوجه الإعجاز والبلاغة القرآنية من جهة النظم الشيء الكثير،

9-يزيل الشك الحاصل في القلب بسبب عدم التأمل في دقة النظم وإحكام الترتيب والردّ على شبه الطاعنين في القرآن والرد عليهم، وبخاصة الذين رموا تلك الألفاظ القرآنية بالقصور عن رتبة البلاغة والبيان، وادعو عدم وجود روابط بين قرآن نزل في والقرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة.

---

(14) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق (1/12.10).

(15) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق (1/ 35).

(16) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 292).

10-المناسبة تساعد في معرفة أسرار التشريع وحكمه، ومثاله قوله تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ) [النور:30]، فإن نظرنا نجد المناسبة بين غض البصر وحفظ الفرج ، باعتبارهما كالسبب والنتيجة.

11-وكذلك المناسبة آية صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبرهان بأنه لم يتقول القرآن من عند نفسه، كيف نزل منجماً قرابة الثلاث والعشرين عامًا، ثمَّ هو متسق الترتيب، منتظم البنيان.

14-ومن حسنات علم المناسبة: تحصيل الأجر من الله والثواب الحاصلين من مدارسة القرآن، وتثويره، والبحث عن معانيه ودرره وأسراره ومكنوناته.

15-ومن فوائده العظمى: إعانة الحفاظ على الحفظ، فعندما يعرف الحافظُ مثلاً مناسبة ختم الآية بالأسماء الحسنى أو ربط ختام السورة مع بداية السورة الأخرى، وغيرها من أوجه المناسبات، فإنَّ ذلك يعينه على قوة الاستظهار، وصلابة الحفظ، ويبعده عن الخطأ؛ لأنه حفظ بمعرفة ودراية بوجوهِ الربط، ومواطنِ المناسبة.

16- يفيد هذا العلم في معرفة سر التكرار وبخاصة القصص، وكذلك تكرار الكلمات، والآيات، فما كررت قصة أو آية أو كلمة إلا لمناسبة وبمناسبة. قال البقاعي:((أنَّ كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى))[17]، و يقول صاحب الظلال:((ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق. وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار))[18].

وغيرها كثير مما لا يسع المقام لذكره وعرضه.

الفصل الثاني: نشأة علم المناسبات

القرآن الكريم هو معجزة النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-الخالدة، التي تحدَّى الله تعالى بها العرب ذوي الفصاحة والبلاغة والحِجَا، وبل وتحدَّى غيرهم من أمم على الإتيان بقرآنٍ مثله، معجزٍ في تراكيبه، ونظمه، ومضمونه، وألفاظه، ومعانيه، ولا يزال هذا التحدّي قائماً إلى قيام الساعة، وقد ثبت عجز أهل اللغة وأساطينها والمتضلعين فيها عن الإتيان بمثله، بل عن الاتيان بمثلِ آيةٍ من آياته، بل بمثل حرف مقطَّع من حروفه المقطعة أوائل بعض السور!

وإعجاز القرآن البياني في: فصاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه، وروعة نظمه، وبداعة أسلوبه الخاص هو سبب العجز والضعف والقصور عن الاتيان بمثله، فالإعجاز البياني هو الدقة في اختيار كلمات القرآن الكريم،

(17) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق (14/1).
(18) الشاربي، في ظلال القرآن (1/ 55).

وترتيبها بصور بديعة، حيث تظهر الفصاحة والبلاغة والبيان في أبهى صورها، بصورة يفهمها القارئ ويسهب في تدبرها، وما أحسنَ ما قاله الإمام ابن عطية[19] في تفسيره، حيثُ يقول: ((كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها، لم يوجد))[20].

وصدقَ –رحمه الله-فلن يوجد أفصح وأدقّ من اللفظ القرآنيّ الذي اختاره الله العليم الخبير، وهذه عينُ الإعجاز، مناسبة الكلمة لفصاحة ودقة وغرض السياق الذي جاءت فيه.

وقد علمَ هذا الأمر العرب الفصحاء البلغاء، وأقرُّوا بفصاحته التي عجزوا عن بلوغها، حتَّى شهدَ بذلك عدوهم –والحقُّ ما شهدت به الأعداء-وقال قائلهم رغم كفره وجحوده مقالته التي خلدها الدَّهرُ شاهدةً على المنزلة العليَّة، والمكانة السنيَّة لكتاب الله تعالى وإعجاز نظمه. ويشهد لذلك قول: الوليد بن المغيرة: ((فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته))[21].

وإنَّها لشهادة رجل خبيرٍ بلغة العرب، وأساليبهم، وفصيحها، وأفصحها، وغريبها، ووحشيها، رآهُ في نظمه بديع، وفي أسلوبه عجيب، وفي تأثيره على الأفئدة أكيد، فما كان منه إلّا أن أصيب بالذهول، واحتار في وصفه، فلا هو من الشعر فينسبه إليه، ولا من السحر والكهانة فيتقوله عليه، ولكنّه الحقّ المبين، والوحي الصادق الكريم.

فسبحان من جعل كتابه هازّاً للقلوب، ومُذهلاً للعقول، ومُؤثرًا على فصحاء الألسنة، وصناديد القلوب!

جاء في كتاب: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وبعد أن ذكر مؤلفه هذه القصص وغيرها من انبهار أهل الشرك بالله بهذا القرآن في (فصل في إعجاز القرآن)، وذكر أنَّ من وجوه إعجازه أمورًا، فقال من ذلك: ((حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته لخارقة عادة العرب؛ وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب))[22]، فتناسبه والتئام كلماته وآياتها وحسن تأليفها، بل حتى سوره لهو مما أذهلهم وأطاش بعقولهم.

---

(19) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية بن مالك بن عطية مولده في عام إحدى وثمانين وأربعمائة كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، ألَّفَ «الوجيز في التفسير»، وله كتاب ضمنه مروياته وأسماء شيوخه. وتوفى بمدينة لورقة عام اثنتين وأربعين وخمسمائة وقبل سنة إحدى وأربعين.
انظر: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: 389)، والفيروزآبادى، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: 177-178)

(20) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 52).

(21) المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 550)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(22) اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/ 258).

المبحث الأول: علم المناسبات في تفسير النبي صلى الله عليه وسلم.

بدأت الإشارة إلى علم المناسبة في عصر الرسول ﷺ ومما يذكر في ذلك قوله حديث عبد الله بن زيد-رضي الله عنه - في البخاري لما سُئل عن وضوء النبي صلى الله عليه وسلم :((فدعا بتور من صفر من ماء، فتوضأ لهم وضوء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأكفأ على يده من التور، فغسل يديه ثلاثا (وفي رواية: مرتين) ، ثم أدخل يده في التور فمضمض، واستنشق، واستنثر ثلاثا بـثلاث غرفات من ماء من كفة واحدة، ثم أدخل يده فاغترف بها، فغسل وجهه ثلاثا، ثم غسل يديه مرتين مرتين، إلى المرفقين، ثم أدخل يده فمسح رأسه، فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه إلى الكعبين، ثم قال: هكذا وضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم))[23]، والنبي ﷺ قد راعى مناسبة ترتيب أعضاء الوضوء في الآية التي في المائدة في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ...) [المائدة:6].

وكذلك في حديث جابر بن عبد الله[24]-رضي الله عنه-الطويل المخرَّج في صحيح مسلم[25] في صفة حجة النبي ﷺ وفيه: ((ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: (۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) [البقرة:158] «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا، فرقي عليه)).

فالنبي ﷺ بدأ بالصفا، واعتدَّ ببدء الله بالصفا لمناسبة، وهي لزوم البدء به في العمرة أو الحج، فبدأ به لهذه المناسبة مناسبة ترتيب الكلمات القرآنية.

وكان صلى الله عليه وسلم يدافع وينافح عن نظم القرآن وتناسبه، فقد أورد الطبري بسنده ((عن ابن عبَّاس-رضي الله عنهما-قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان، وعمر بن أصان، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مشكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله عز وجل، فإنا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به» ...))[26].

---

(23) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين إلى الكعبين، حديث رقم (117).

(24) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، والأول أصح، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، توفي: سنة ثمان وسبعين.

انظر: عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (1/ 492)، التستري، طبقات خليفة بن خياط (ص: 172).

(25) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ رقم (1218).

(26) أورده عند تفسير قوله تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨) [الإسراء:88].

انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (15/ 76).

وهذا الدليل يدلُّ على أنَّ أول الطاعنين في تناسق القرآن هم اليهود، وأنَّ النبي ﷺ ردَّ عليهم بتناسقه، وأفحمهم بأنَّ الإنس والجنَّ عاجزوا ولو اجتمعوا على الاتيان بمثله، وهم يعلمون ذلك، ولكنهم قومٌ يبهتون.

ومما يتضمن إشارة إلى علم المناسبات في القرآن، ما جاء في الصحيح: ((عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)) [27].

ففي هذا الحديث الشريف بيان مناسبة وعلاقة الفاتحة بالقرآن العظيم، فهي فاتحته، وهي أمه، وهذا النوع من المناسبات يعرف بمناسبة اسم السورة لمضمونها ومقصدها [28].

فبدايات علم المناسبة تلتمس وتؤخذ وتُستنبط وتُستفاد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: علم المناسبات في تفسير الصحابة والتابعين.

وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم نجد بأنهم أيْضًا قد راعوا المناسبة في كتاب الله، وكان عملهم بموجب هذه المناسبة، ومن شواهد ذلك ما روي ((عن أبي هريرة، قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وراعى استخلف أبو بكر بَعْدَه، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله»، فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزَّكاة، فإن الزَّكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق»)) [29].

قال ابن حجر: ((المراد بالفرق من أقر بالصلاة وأنكر الزكاة جاحدًا أو مانعًا مع الاعتراف، قال المازري: ظاهر السياق أن عمر كان موافقًا على قتال من جحد الصلاة، فألزمه الصديق بمثله في الزكاة لو رودهما في الكتاب والسنة موردًا واحدًا))[30]، وهذا يدل دلالة واضحة على أنَّ ورود الصلاة والزكاة في كتاب الله دائماً وفي سياق واحد، مقترنتين متجاورتين متآخيتين له مناسبة، وغرضٌ مؤثرٌ في الحكم، وهذا ما فهمه خير القرون قرن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أرباب الفصاحة والبيان، أصحاب الفهم السليم كانوا يحرصون على ربط الكلمات والجمل في كلامهم وعدم اجتزائها من سياقها، والاعتداد بمناسباتها.

ومما يُستدلُّ به في هذا الشأن كذلك، ما رواه البخاري: ((أنَّ مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، لنعذبنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه «إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره،

---

(27) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت، رقم (756).

(28) انظر: بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، مرجع سابق (ص/ 20-22).

(29) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم 9/ 7284

ومعنى: (عقالاً) هو الحبل الذي تشد به يد البعير مع ذراعه حتى لا يشرد. انظر: الناصر، تحقيق الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (9/ 94).

(30) انظر: العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (12/ 277).

فأروه أن قد استحمدوا إليه، بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم»، ثم قرأ ابن عباس: (وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ) [آل عمران:187] كذلك حتى قوله: (يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ) [آل عمران:188]))[31].

فوضَّح له ابن مسعود بسبب النزول أولاً، وبسياق الآية ثانيًا وأنَّ مناسبة ورودها في أهل الكتاب خاصة، فلذلك كان مستقرًّا عندهم ألا تُنزع آيةٌ من سياقها بل يُنظر إليها وإلى سياقها، ومدى تناسبها مع ما جاورها. لذلك معرفة نظام القرآن الكريم، ومناسباته وحكمه ومحاسنه عونٌ للقارئ على فهمه وتدبره وتعقله والاهتداء به، والعمل بمقتضاه، واجتزائه عن سياقه، يُحدثُ سوء الفهم لكتاب الله؛ فالمجمل في موضع يُبَيَّن في موضع آخر، والمبهم يظهر ويوضح في موضع آخر، وما ضلَّ من ضل من أصحاب الفرق، ممن معه نصٌ أو آية من كتاب الله، إلا وكانت مثلبته اجتزاء النصِّ من سياقه، وعدم النظر للسابق واللاحق له، وعدم مراعاة مناسبته.

ولقد كانت دقة الصحابة رضي الله عنهم في ذلك بأن أنكروا على من أراد تفسير كتاب الله تعالى وهو مجتزئٌ له، طارحٍ لمناسبته، قاطعٍ له عن سياقه، فقد أخرج الطبري: ((عن جبير بن نفير، قال: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني لأصغر القوم، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ) [المائدة:105]، فأقبلوا عليَّ بلسان واحدٍ وقالوا: تنزع بآية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها، حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون، فلمَّا حضر قيامهم، قالوا: إنك غلام حدث السن، وإنك نزعت بآية لا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوىً متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتديت))[32].

وليس في الآية مستند على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان فعل ذلك ممكنًا، كما لم يفهمه الصحابي حدثُ السنِّ، وهذا الإنكار المشترك والمتواطئ من هؤلاء الصحب الكرام رضي الله عنهم على جبير –رضي الله عنه – لأنَّهُ عمد للاستدلال بآية لا يدري مناسبتها أو سبب نزولها، وأنزلها بفهمه على حدثٍ وأمر معين لا تنزلُ عليه ولا تدلُّ عليه.

وهذا يعني أنَّ فهم أي كلامٍ لا يكون ولا يمكن بغير معرفة النظام، بل نظام الكلام وسياقه ومناسبته هو السبيل الوحيد إلى فهمه وعقله وتدبره.

وحتَّى أنَّ الأعرابي بفطرته ليدرك بعض مناسبات القرآن، مما يسمع من نظمه، وهذا بفطرته وعقله، قال الرازي[33]: ((قال الأصمعي كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي،

---

(31) رواه البخاري، كتاب تفسير القرءان، باب: (لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ) [آل عمران:188]، رقم (4568).

(32) تفسير الطبري، مرجع سابق (9/ 46).

(33) الرازي: مُحَمَّد بن عمر بن الْحسن بن الْحُسَيْن التَّيْمِيّ الْبكْرِيّ، الإمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ، (544 –606 هـ = 1150 –1210م)

فقرأت هذه الآية فقلت (والله غفور رحيم) سهوًا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله. قال أعِد، فأعدتُ: (والله غفور رحيم)، ثم تنبهتُ فقلتُ والله عزيز حكيم فقال: الآن أصبت، فقلت كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع))[34].

أما قوله والله عزيز حكيم فالمعنى: عزيز في انتقامه، حكيم في شرائعه وتكاليفه، ومناسبته لا تخفى على ذي لبٍّ مع الأمر بقطع يد السارق.

و((حكي أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ(فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة:209]، فقرأها: (فاعلموا أن الله غفور رحيم)، ولم يكن يقرأ القرآن فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا! ومرَّ بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرجل(فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فقال هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزَّلل لأنه إغراء عليه))[35].

وأشار إلى علم المناسبة بعد عصر الصحابة في القرن الثاني، الإمام الشافعي[36]، حيث يقول: ((إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتِّساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامًا، ظاهرًا، يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعامًا ظاهرًا يراد به العام، ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه؛ وعامًا ظاهرًا، يراد به الخاص. وظاهرًا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله))[37].

فبيَّن الشافعي أنَّ من أساليب العرب وطرائقها ومعهودها النظر للسياق، وكذا النظر في الجملة أولها وآخرها، لأنَّ الكلام مبنيٌّ أوله على آخره.

ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريِّ) رحل إلى: خوارزم، وما وراء النهر، وخراسان، وتوفي في هراة، من تصانيفه (مفاتيح الغيب).

انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (8/ 81)، الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (6/ 313).

(34) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (11/ 357).

والآية التي كان يقرأها من سورة المائدة هي قوله تعالى: (وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨) [المائدة:38].

(35) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق (3/ 347).

(36) محمَّد بن إدريس الشافعي المطلبي رضي الله عنه، أبو عبد الله، الإمام البعيد الصيت والذكر الجليل القدر علامة الدنيا، ولد بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن سنة 150هـ، يجتمع مع الرسولِ محمدٍ في عبد مناف بن قصي، وقيل: وهو ابن عم النبي محمد، قام بتأليف كتاب الرسالة (القديم والجديد)، وكتاب اختلاف الحديث وغيره، توفي سنة 204 هـ.

انظر: النيسابوري، الكنى والأسماء (1/ 503)، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله (2/ 54،55).

(37) الشافعي، الرسالة (1/ 50).

المبحث الثالث: مراحل علم المناسبة حتى العصر الحالي.

وتصدى ابن قتيبة[38]كذلك في كتابه: (تأويل مشكل القرآن) للردِّ على الطاعنين المتبعين لما تشابه من القرآن وبخاصة ما يُعنى بلغة القرآن، ومعاني القرآن، وخصَّص الكتاب في ردّ المطاعن والاعتراضات الصادرة من المعادين للقرآن العظيم، فكان ينافح عنه، فأزال اللبس، ودحضه، وبيَّن بالحجج الدامغة النيرة المعاني الصحيحة.

فمثلاً في قوله تعالى: (وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ) [النساء:3].

وأيضًا قوله تعالى: (۞جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) [المائدة:97].

ففي الآية الأولى: أشكل على بعضهم ربط الآية، والمناسبة فيها، حيثُ أنَّ أولها يتحدث عن اليتامى، وآخرها يتحدث عن النكاح فأشكل عليهم الربط والمناسبة، وأمَّا في الآية الثانية: فتساءل بعضهم عن وجه ربط أولها بآخرها كذلك ومناسبة الأوَّل بالآخر.

فأجابهم ابن قتيبة الجواب الكافي، بذكره لمناسبة الترتيب في الآية الأولى، ومناسبة الختم في الآية الثانية فقال: ((والمعنى: أن الله تعالى قَصَر الرجال على أربع نسوة، وحرَّم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن؛ لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمن لم يستطيعوا العدل عليهن بالتّسوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون ألاَّ تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا أيضا ألاَّ تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثًا وأربعًا، ولا تتجاوزوا ذلك؛ فتعجزوا عن العدل، ثم قال: فإن خفتم أيضا ألا تعدلوا بين الثلاث والأربع، فانكحوا واحدة، أو اقتصروا على ما ملكت أيمانكم من الإماء، ذلك أدنى ألا تعولوا، أي لا تجوروا وتميلوا))[39].

فالمعنى الذي تظهره المناسبة في الآية وتجليه: كما تخافون إلاَّ تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا أيضاً ألاَّ تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهم، فانكحوا اثنين أو ثلاثًا أو أربعًا، ولا تتجاوزا، فبينت المناسبة المعنى وأزالت اللبس.

أما الآية الثانية (۞جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) [المائدة:97].فقال ابن قتيبة عنها: ((وتأويل هذا: أن أهل الجاهلية كانوا يتغاورون ويسفكون الدماء بغير حقها، ويأخذون الأموال بغير حلّها، ويخيفون السّبل، ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله، ويصيب غير الجاني عليه،

---

(38) ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي صاحب كتاب (أدب الكاتب). سكن بغداد وروى بها كتبه إلى حين وفاته. كان فاضلًا ثقةً، اختلف في وفاته، وأصح الأقوال إنها في 276هـ.
انظر: الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (3/ 42،43)، البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق (11/ 411).

(39) الدينوري، تأويل مشكل القرآن (ص: 50).

ولا يبالي من كان بعد أن يراه كفأ لوليِّه ويسمّيه: الثأر المنيم، وربما قتل أحدهم حميمه بحميمه، فجعل الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرم، والشهر الحرام، والهدي، والقلائد- قوامًا للناس: أي أمنًا لهم، فكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحرم فأمن، يقول الله جل وعز: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) [العنكبوت:67]، وإذا دخل الشهر الحرام تقسّمتهم الرّحل، وتوزّعتهم النّخع، وانبسطوا في متاجرهم، وأمنوا على أموالهم وأنفسهم، وإذا أهدى الرجل منهم هديًا، أو قلّد بعيره من لحاء شجر الحرم- أمن كيف تصرَّف وحيث سلك، ولو ترك الناس على جاهليتهم وتغاورهم في كلِّ موضع وكلِّ شهرٍ- لفسدت الأرض، وفنِيَ الناس، وتقطّعت السُّبل، وبطلت المتاجر؛ ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شؤونهم، وليعلموا كما علم ما فيه من الخير لهم- أنه يعلم أيضا ما في السّموات وما في الأرض من مصالح العباد ومرافقهم، وأنه بكل شيء عليم))[40].

وهذه المناسبة الرائعة من هذا الإمام الذي فتح الله عليه معرفة مناسبة الختم بصفة العلم لله عزَّ وجل، لهي أدلّ دليلٍ، وأقوى برهانٍ على أنهم كانوا يتكلمون في المناسبات من العهد الأول، وإن لم يكونوا يذكرون مصطلحها، وكذلك يدلُّ على أهمية المناسبة في فهم الآية القرآنية والسياق القرآني.

وهو مصداق لما ذكره الفراهي حيث يقول: ((المقصود من معرفة النظام ليس إلا التدبر، فإنَّه الإقليد له، ثم التدبر في الكتاب هو الوسيلة إلى الهدى والتقوى))[41].

وأكد أبو هلال العسكري[42] فقال: ((وممّا هو أجلّ من هذا كلّه قول الله عز وجل: (۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ) [النحل:90]، فالإحسان داخل في العدل، وإيتاء ذي القربى داخل في الإحسان؛ والفحشاء داخل في المنكر، والبغي داخل في الفحش، وهذا يدلّ على أنَّ أعظم مدار البلاغة على تحسين اللَّفظ؛ لأنَّ المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول، وكانت الألفاظ مختارة، حسن الكلام؛ وإذا كانت مرتَّبة حسنَةَ والمعارض سيئة كان الكلام مردودًا، فاعتمد على ما مثّلته لك، وقس عليه إن شاء الله))[43]. ففيه التنبيه لضرورة مناسبة الكلمات ودخول معاني بعضها في بعض وإن لم يُصرحوا بلفظ المناسبة، وأنَّ مدار البلاغة على هذا الأمر.

(40) الدينوري، تأويل مشكل القرآن، المرجع نفسه (ص/ 51،52).

(41) انظر: الفراهي، دلائل النظام (ص/10).

(42) أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. اللغوي، الأديب. صاحب المصنفات الأدبية. له مؤلف في اللغة وسمه " بالتلخيص وكتاب صناعتي النظم والنثر" مفيد جدا، وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (9/ 338).

(43) العسكري، الصناعتين (ص/ 195).

التصريح بالمناسبة:

أمّا أوَّل من صرَّح بالمناسبة كما ذكرهُ الزركشي هو الإمام أبو بكر النيسابوري[44] فقال في برهانه: ((قال الشيخ أبو الحسن الشهراباني: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام: أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قُرِئَ عليه الآية، لم جُعلتْ هذه الآية إلى جنبِ هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزْري على علماء بغداد؛ لعدم علمهم بالمناسبة))[45].

وهنا نجد أنَّ الزركشي يصرح بأوليته، ولعلَّه يقصد بأوليته هنا استعمال لفظة (المناسبة)، وإلا فإنَّ معنى المناسبة كان سابقاً لعصر هذا الامام، بل كان من القرن الأَول كما بينتُ في هذا الباب. ولعلَّه يقصدُ بهذه الأولية باعتبار شدة العناية والاهتمام بالمناسبة والحرص على تعليمها لتلاميذه؛ وإلا فالمُتتبع لتفاسير السلف حتى من الصحابة يجدهم يتحدثون أحياناً عن المناسبات في بعض المواطن وإن كانت قليلة.

والصحيح أنَّ أولية علم المناسبة القرآنية غير واضحة تمام الوضوح إلى الآن، ولا سيما مع بقاء كثير من مصادر التفسير وعلوم القرآن مخطوطة بعيدة عن أيدي الباحثين[46].

ويقول صاحب أضواء على علم المناسبة القرآنية: ((يبدو من قول الشهراباني: ((أول من أظهر ببغداد علم المناسبة..)) أنَّ في تقديمه (ببغداد) قصدًا، وهو الحديث عن مدينة بغداد بخصوصها، ذلك أنَّ هناك من كان يلهج به في بلاد أخرى، ولعلَّ علماء بغداد حين نبههم النيسابوري إلى هذا العلم، وعاب عليهم عدم علمهم به، بحثوا عنه وعمن تكلَّم فيه واهتم به، وذهب إليه، وتناهى إليهم من يتكلم في وقتهم في تلك البلاد، وقبل وقتهم أيضًا، فكانت عبارة الشهراباني التي تحصر أولية إظهار هذا العلم في بغداد في جهود النيسابوري، ومن الضروري أن نشير إلى أنه قال (أظهر) ولم يقل: (سبق)))[47].

وقد شكى الإمام أبو بكر بن العربي[48]، من بطالة النقلة، وعدم اهتمام العلماء بهذا العلم سوى عالمٍ واحدٍ، لم يُصرح باسمه،

---

(44) الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام، أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري، من أحفظ الناس للفقهيات واختلاف الصحابة. كان من أحفظ الناس للأسانيد والمتون، وقد كان أبو بكر من الحفاظ المجودين، مات في شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاث مائة عن بضع وثمانين سنة.

انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (11/ 380، 381)

(45) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق (1/ 36).

(46) وقد كتب الدكتور الفاضل عبد الحكيم الأنيس في مسألة نشأة علم المناسبات بحثاً ضافياً في مجلة (الأحمدية) التي تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي بالإمارات العربية المتحدة في العدد الحادي عشر –جمادى الأولى 1423هـ بعنوان: (أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية) بين فيه أقول العلماء في نشأة هذا العلم، وخلص إلى عدم وضوح الرؤية في هذه المسألة، وبين صواب ما ذكره السيوطي وأكثر الباحثين من بعده.

(47) انظر: الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية (ص/28).

(48) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر ابن العربي، المعاقري، الأندلسي، الإشبيلي، الحافظ ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة. من تصانيفه: كتاب " عارضة الأحوذي في شرح الترمذي "، وكتاب " التفسير " في خمس مجلدات

ونقل الزركشي قول ابن العربي في برهانه فقال: ((قال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه))[49].

وهذه الشكوى من ابن العربي في القرن السادس، وكان يشتكي بأنَّ علم المناسبات لم يتكلَّم فيه إلا عالم واحد. فهل يعني أنَّه لم تظهر كتب جامعة في علم المناسبات، أو أنه لم يصله ما كتب من مفسري الخامس والرابع والثالث في ذلك، أو أنه قصد عدم وجود مؤلفات في إبراز المناسبات في جميع سور القرآن ؟.

وقريب من ذلك الوقت وفي المقابل كان الإمام أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي الحرالِّي المغربي[50]نزيل حماه، له تفسير ذكر فيه المناسبات، قال البقاعي في مقدِّمة تفسيره " نظم الدرر": ((ثم بعد وصولي لسورة الأنفال ملكت جزءًا من تفسيره، فيه من أوله إلى قوله: (۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ) [آل عمران:33]، فرأيته عديم النظير، وقد ذكر فيه المناسبات، وقد ذكرت ما اعجبني منها، وعزوته إليه، يسر الله الاطلاع على بقيته بحوله وقوته))[51].

وكان للحرَّاني شطحات؛ لاشتغاله بالمعقولات، وأبدى في تفسيره الغرائب والعجائب، ((ووقع بينه وبين الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام شيء، وطلب عزّ الدين أن يقف على تفسيره، فلمّا وقف عليه قال: أين قول مجاهد أين قول فلان وفلان وكثر القول في هذا المعنى، ثم قال: يخرج من بلادنا إلى وطنه -يعني الشام - فلمّا بلغ كلامه الشيخ قال: هو يخرج وأقيم أنا، فكان كذلك))[52]، ولم يستجب للعزِّ ابن عبد السلام[53] في رأيه أحد، بل عورض من خلال الاستمرار في التأليف بهذا العلم والاعتناء به.

كبار، وغير ذلك من الكتب في الحديث، والفقه، والأصول. ودفن بفاس في ربيع الآخر عام 543 هـ.

انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، (54/ 24) للذهبي، تاريخ الإسلام، مرجع سابق (11/ 834).

(49) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق (1/ 36).

(50) علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي، الإمام أبو الحسن الحرالي الأندلسي، له " تفسير "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل" فيه أشياء عجيبة الأسلوب وكان شيخنا ابن تيمية، وغيره يحط على كلامه ويقول: تصوفه على طريقة الفلاسفة، توفي: 637 هـ.

انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، مرجع سابق (14/ 245)، الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، مرجع سابق (ص: 143)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (23/ 47).

(51) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (10/1).

(52) التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (2/ 188).

(53) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد ابن مهذب روى عنه تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد وهو الذي لقب الشيخ عز الدين سلطان العلماء، ن مؤلفاته: (قواعد الأحكام) [المتوفى: 660 هـ].

انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مرجع سابق (8/ 209).

والرد عليه كما ذكر الزركشي حيث يقول: ((قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا))[54].

ثمَّ كان أيضًا الإمام أبو الفضل، محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل بن محمد الشافعي، له ثلاثة تفاسير، كبير ووسط وصغير، والكبير في: عشرين مجلدًا، قصد فيه: ارتباط الآيات بعضها ببعض، وبين وجوهه[55]. فعلم المناسبات كان موجوداً في ذلك الوقت، وكان الحرّالي وأبو الفضل الشافعي يتكلمان به، ويؤلفان فيه. ثمَّ في بداية القرن الثامن توفي الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي[56]، صاحب كتاب: البرهان في تناسب سور القرآن، وهو مؤلف لبيان مناسبات ترتيب سور القرآن كما هو بيِّنٌ من اسمه. وقد قال في مقدِّمة كتابه: ((فاقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على توجيه ترتيب السور، وإن لم أر في هذا الضرب شيئا لمن تقدم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات، وذلك في الباب أوضح، ومجال الكلام فيه أفسح))[57]، وهو أيضاً بخبر بأنه لم يجد في بيان المناسبات شيئاً لمن تقدمه، وهو محمولٌ على أنه لم يصل إليه، أو بأنَّه يقصد مؤلفًا خاصًّا في المناسبات، والعلم عند الله. ثمَّ توالت كتب التفسير بعد كتاب الفخر الرازي "التفسير الكبير" في ذكر المناسبات وأكثر من ذكرها، وهو القائل: ((لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))[58]، ومن أتى بعده وتكلَّم في علم المناسبة كان عالة عليه[59]، ومنهم الإمام البقاعي حيث يثبتُ انتفاعه من كتابه، ورجوعه له، وجعله من مصادره فيقول: ((وممن أكثر منه الإمام فخر الدين وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))[60].وجاء بعده المفسَّر أبو حيَّان الأندلسي[61]، في القرن الثامن،

---

(54) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق (1/ 37).

(55) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/ 458).

(56) أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن مسلم ابن كعب العلامة أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي ولد سنة 627 وتلا بالسبع، من مؤلفاته: (البرهان في ترتيب سور القرآن) وغيرها، وهو من أهل التجويد والإتقان عارفا بالقراءات وتوفي في ثاني عشر ربيع الأول عام 708.
انظر: العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (1/ 96-98)، الزركلي، الأعلام (1/ 86).

(57) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن (ص: 181).

(58) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، مرجع سابق (10/ 110).

(59) وقد كتبت في المناسبات عند الإمام فخر الدين الرازي رسائل علمية منها: المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، رسالة ماجستير قسم الكتاب والسنة، اعداد الطالب: عبد الله مقبل بن ظافر القرني، إشراف الدكتور: عبد الحميد عمر الأمين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(60) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق (1/6،5).

(61) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشيخ الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم، وتوفي بالديار المصرية في أوائل سنة خمس وأربعين وسبعمائة، رحمه الله تعالى.

وقد التزم في تفسيره: البحر المحيط أن يذكر مناسبة الآية وارتباطها بما قبلها، جاء في خطبة الكتاب: ((ثم يشرع في تفسير الآية ذاكرًا سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسباتها، وارتباطها بما قبلها))[62].

واستمرَّ الاعتناء في علم المناسبات وتضمينه كتب التفسير حتى جاء الإمام البقاعي في القرن التاسع وكان جهده في هذا العلم من أوسع الجهود وأكبرها وأعزِّها.

ونخلص بعد هذا التطواف في نشأة هذا العلم أنَّ كثيرًا من العلماء اعتنوا بشأن المناسبات، وأشادوا بها وتناولوها ولا يكاد يخو مؤلف في اعجاز القران وبلاغته من بيان مناسبته وتناسبه وترابطه؛ وذلك لأهمية هذا الأمر في تدبر القرآن، ومعرفة أسراره.

الفصل الثالث: أشهر المؤلفات علم المناسبات

المبحث الأول: من أفرده بالتصنيف

من العلماء من جعل علم المناسبة في تصنيف مستقل مفرد، ومن أشهرهم:

1 – أبو جعفر بن الزبير الأندلسي (ت 807 ه) في كتابه: البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن. وهو خاصٌّ بترتيب السور كما هو مصرحٌ في اسمه ولا يذكر مناسبة الآيات.

2 – السيوطي (ت 911 ه) في كتابه: تناسق الدرر في تناسب السور.

3-السيوطي (ت 911 ه) في كتابه: مراصد المطالع في المقاطع والمطالع.

4 – السيوطي (ت 911 ه) في كتابه: أسرار التنزيل، وضمنه في باب من أبوابه.

5-أبو الحسن الحرالي المغربي (637 ه)(63) في كتابه: مفتاح باب المقفل لفهم القرآن المنزل.

6-برهان الدين البقاعي (ت 885 ه) في كتابه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

7-برهان الدين البقاعي (ت 885 ه) في كتابه مصاعد الفكر في مقاصد السور

8-الفراهي (ت 1349 ه) في تفسيره تفسير نظام القرآن، وتأويل الفرقان بالفرقان.

9-مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور؛ للشيخ عادل بن محمد أبوالعلاء.

10-وعلم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول.

11-إمعان النظر في نظام الآي والسور؛ للدكتور محمد عناية الله سبحاني.

12-عبد الله الغُمَاري في كتابه: جواهر البيان في تناسب سور القرآن.

انظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: 387)، ابن شاكر، فوات الوفيات (4/ 72،73).

(62) انظر: أثير الدين الأندلسي، مقدمة: البحر المحيط في التفسير (1/ 6).

(63) ويتهم البقاعي بأنه قد أخذ كل ما في كتابه (نظم الدرر) من كتابه. جاء في ترجمة الحرالي: (وصنف تفسيراً ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول، وتحار فيه الفحول، وهو رأس مال البقاعي، ولولاه ما راح ولا جاء، ولكنه لم يتم، ومن حيث وقف وقف حال البقاعي في مناسباته).

انظر: الجادر، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية والطبقات الصغرى (465/2).

13-محمد طاهر بن غلام (ت1407هـ) في كتابه: سمط الدرر في ربط الآيات والسور.

وهناك دراسات ورسائل علمية في المناسبة جاءت من باب التطبيق على سورة من القرآن أو عدة سور، منها:

أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، رسالة دكتوراه للدكتور محمد عامر محمد، إشراف الدكتور: علي كاظم الأسد 1432 هـ، جامعة الكوفة.

المناسبات بين الآيات والسور: فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها؛ للدكتور سامي عطا حسن، جامعة آل البيت.

المناسبات في غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، من سورة الجمعة إلى سورة الناس، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، للطالب عبد القاهر عبد الله الحوري، إشراف د. عثمان الحسن أحمد علي 1436 هـ -2015م جامعة أم درمان الإسلامية.

أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، رسالة ماجستير للباحثة مقبولة علي مسلم الحصيني، بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد الحافظ بن إبراهيم البقري، جامعة أم القرى. بالسعودية، 1428 هـ -2007 م.

التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير للباحث طارق مصطفى محمد حميدة، بإشراف الأستاذ الدكتور حاتم جلال التميمي، جامعة القدس فلسطين، 1428 هـ.

المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد عطية المنيراوي، الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين 1431 هـ -2010 م.

المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسورة الأعراف، رسالة ماجستير للباحثة إيمان عيد علي درويش، إشراف الدكتور وليد محمد حسن العمودي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية -غزة، فلسطين، 1431 هـ -2010 م.

المناسبة بين الفواصل القرآني وآياتها: دراسة تطبيقية على سورة الحجر والنحل والإسراء، رسالة ماجستير للباحث عبد الله سالم سلامة، بإشراف الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية -غزة، فلسطين، 431 هـ. وغير هذه الرسائل كثير لا يسع الكتاب لعدِّها.

المبحث الثاني: الذين جعلوه نوعاً من علوم القرآن الكريم وتحدثوا عنه في باب من كتبهم.

أمَّا العلماء الذين جعلوه نوعاً من علوم القرآن الكريم وتحدثوا عنه في باب من كتبهم، فمن أشهرهم:

1 – الزركشي (ت 794هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن، فقد جعله النوع الثاني. فقال: الثاني: معرفة المناسبات بين الآيات.

2 – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت817هـ) في كتابه: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.

3-السيوطي (ت 911هـ) في كتابه: الإتقان، وقد جعله في النوع الثاني والستين.

4-السيوطي (ت 911هـ) في كتابه: قطف الأزهار في كشف الأسرار.

المبحث الثالث: المفسرون الـذين عُنُوا بذكر المناسبات في تفاسيرهم.

أمّا المفسرون الـذين عُنُوا بذكر المناسبات في تفاسيرهم، ومن أشهرهم:

1-محمد بن عمر، الفخر الرازي (ت 606هـ) في تفسيره الكبير: مفاتيح الغيب.

2-أبو السعود (ت 982هـ) في تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

4-ابن عاشور (ت 1393هـ) في كتابه: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، وقد صرَّح بعنايته في مقدِّمته.

5-ابن النقيب الحنفي (ت 698 هـ) في تفسيره: التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير حيث تصدى في تفسيره لذكر المناسبات.

6-الشيخ محمد عبده (ت 1354هـ) في تفسير المنار الذي جمعه وأتمه رشيد رضا وهو: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) حيث كان له عناية بعلم المناسبة.

7 -الأستاذ سيد قطب (ت 1385هـ) في كتابه: في ظلال القرآن، وفي كتابه الآخر: التصوير الفني في القرآن.

8-أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ) في تفسيره: تفسير المراغي.

9-أبو القاسم محمود الزمخشري (ت538هـ) في تفسيره: الكشَّاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل.

10-نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (728هـ) في تفسيره: غرائب القرآن، ورغائب الفرقان.

11-ابن جزئ الكلبي (ت741هـ) في تفسيره: التسهيل لعلوم التنزيل.

هؤلاء جملة من المفسرين وغيرهم كثير ممن اهتمَّ بالمناسبة في ثنايا تفاسيرهم، فمقلٌّ ومستكثر، ومتكلِّفٍ ومتوسط، ولا يكاد يخلو تفسيرٌ من التفاسير من ذكر المناسبة كما أسلفت، ولا تزال الحاجة قائمة إلى مزيد من الدراسة والاستقراء لهذا العلم الجليل، لما فيه من النفع الجزيل، والخير العميم.

الخاتمة

ومن خلال البحث تخلت لنا مجموعة من النتائج والتوصيات

أولًا: النتائج:

توصلت الدِّراسة إلى عدد من النتائج منها:

1. لعلم المناسبات فوائد عظيمة، وهو من أجلِّ علوم القرآن الكريم
2. إنَّ علم المناسبات علمٌ صحيحٌ موجود مؤصلٌ يجب اثباته بشروطه.
3. لا مستند صحيح للقائلين بمنع تطلب المناسبة بين الآيات والسور.
4. إنَّ علم المناسبة من العلوم التي يجب أن تُصرف فيها الهمم، وتفرغ الجهود لطلبها والبحث فيه؛ لأنَّها أكبر معين على فهم كتاب الله تعالى.

ثانيًا: التوصيات:

1. افراد مؤلفات خاصة لتطبيقات علم المناسبة من كتب التفسير التي اعتنت بالمناسبة بالدراسة والبحث.
2. افراد دراسات تربط بين المناسبة وعلم السياق أو أسباب النزول.
3. دراسة المناسبات من خلال التفسير الموضوعي، مثلاً أثر المناسبات في الدعوة إلى الله من خلال قصة موسى.

المراجع:

1- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ/ 1974 م.

2- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت: علي محمد معوض -عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1415هـ -1994 م.

3- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، د. عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمدية العدد الحادي عشر

4- الأعلام، خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي، الزركلي الدمشقي، ط الخامسة عشر، الناشر دار العلم للملايين 2002م .

5- إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري، إلياس بن أحمد حسين -الشهير بالساعاتي - بن سليمان بن مقبول علي البرماوي، تقديم: فَضيلة المقرئ الشيخ محمَّد تميم الزّعبي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م .

6- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: 1420 هـ.

7- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، ت: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1410 هـ -1990 م.

8- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب عيسى البابى الحلبي وشركائه 1376 هـ -1957 م.

9- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي – القاهرة، عام النشر: 1967 م.

10- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى 1421هـ-2000م.

11- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط:2، دار الكتاب العربي، بيروت1413 هـ -1993 م.

12- تاريخ بغداد وذيوله، أحمد بن الخطيب البغدادي، تح: مصطفى عبد القادر عطا الطبعة، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ.

13- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، ط: بدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ -1995 م.

14- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.

15- تحقيق الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

16- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط:1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422 هـ -2001 م.

17- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية -عيسى البابي الحلبي وشركاه 1387 هـ -1967 م.

18- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة -بجوار محافظة مصر، 13هـ -1974م، دار الكتاب العربي – بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار الكتب العلمية.

19- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية -حيدر اباد/ الهند، ط: الثانية، 1392هـ/ 1972م.

20- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، سنة ال نشر1968م 1388هـ.

21- الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر: ط: الأولى، 1358هـ/1940م.

22- سير أعلام النبلاء، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تح مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط 3، مؤسسة الرسالة 1405 ه / 1985 م.

23- الشفا بتعريف حقوق المصطفى -وحاشية الشمني، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409 هـ -1988 م.

24- الصناعتين، أبو هلال، الحسن بن عبد الله العسكري، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط: بدون، المكتبة العنصرية، بيروت 1419هـ.

25- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تح: د. محمود محمد الطناحي، د.

عبد الفتاح محمد الحلو، ط:2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1413هـ (8/ 81)، والأعلام، مرجع سابق.

26- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تح سليمان بن صالح الخزي، ط 1، مكتبة العلوم والحكم – السعودية 1417ه-1997م .

27- طبقات خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي، ت: د سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414 هـ = 1993 م.

28- علم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول، المكتبة المكيَّة، باب العمرة، مكة المكرَّمة، ط: الأولى 1423-2002م

29- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

30- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى.

31- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق -بيروت-القاهرة، ط: السابعة عشر - 1412 هـ .

32- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، تاريخ النشر: 1941م.

33- الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1404هـ/1984م.

34- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية والطبقات الصغرى، عبد الرؤوف المناوي، ت. محمد أديب الجادر، دار صادر-بيروت.

35- لسان العرب، محمد بن مكرم جمال الدين بن منظور، ط3، دار صادر-ب يروت1414هـ.

36- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط: الرابعة 1426هـ -2005م.

37- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى -1422هـ .

38- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت: 458هـ، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى (1421 هـ -2000 م).

39- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

40- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / مح=تمد النجار) ، ط : [بدون] ، دار الدعوة -استانبول.

41- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1417 هـ-1997م.

42- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة -1420 هـ .

43- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط: بدون، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

44- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط: بدون، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

45- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر-بيروت -لبنان، الطبعة: 1، 1997.

46- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ط:1، (1900-1971-1994م).

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.21.6